مُسابقة المهارات الثقافيّة
Cultural Talents Tournament

احتراق الطائر

يحط طائرٌ أزرق على نافذتي، شد انتباهي بزقزقته وكأنها أنغام موسيقية متناسقة والطائر يرقص عليها. أقترب لأمساكه ويلوذ بالفرار، أتنهد ثم أستلقي على سريري، وأتخيل أنني طائرٌ يحاول الطيران لكن بعضها تموت وهي تحاول. أتنفس الصعداء، وأتأمل سقف غرفة الميتم، أعجز عن وصف مدى كرهي لهذا المكان، أريد الهروب كرغبةِ سجينٍ بريءٍ بالحرية، وازدادت بعد أن أعادتني عائلتي المزيفة بعد فترة من تبني كما فعلت عائلةٌ سابقة من قبل. لقد فعلوا هذا بي مرتين! أنا أمقتهم لكن أتذكر كيف أحببتهم.

أنا هنا منذ موت والديّ جراء حادث سير، لا أعرف الكثير عنهم. واليوم الذي أخشاه أتى، جاءت عائلة لتتبناني، لتعطيني الأمل الزائف بأن أمتلك عائلةً حقيقية، ثم ترميني ككلب مسعور.

أقف ساكنًا بينما أنفاسي أثقل من جسدي ونبضات قلبي ترتفع لدرجة شعرت أن الرجل الذي أمامي يمكنه سماعها. نعم، إنه أملي الزائف.

-"مرحبًا فداء، ينادونني أواب".

لم أرد عليه.

لم يبدو منزعجًا بل ابتسم وأمسك بيدي، ولم أمانع ذلك.

ظللت بسيارته وأفكاري ترفض الصمت حتى وصلنا منزله، فتح الباب، وقال:

"تفضل، لا شيء يدعو للخوف".

ربما كان يتوقع مني سلوكًا مهذبًا كحيوانٍ أليفٍ مطيع، ومالم يتوقعه أنني تجاهلته وركضت للداخل، ربما قررت إزعاجه بتصرفاتي فلطالما كنت طفلًا يصعب فهم تصرفاته. ولم ينزعج بل أغلق الباب ودخل المنزل.

وزارة الثقافة
Ministry of Culture

وزارة التعليم
Ministry of Education

مر أسبوعان منذ لحظة دخول الطفل لحياة الرجل.

أنزل السلالم بحماسٍ أكبر وسعادةٍ واضحة كفراشةٍ خرجت من يرقتها للتو، لقد أصبحت هكذا يومًا بعد يوم. أجلس لأتناول إفطاري وأراه يأخذ معطفه ويودعني ثم يغادر.

أنهض وأركض عبر الممر لكن أتعثر وأسقط بقوة لتخرج دموعي رغمًا عني ويدي على ركبتي الدامية، شعرت أن جسدي يذوب كما تذيب النار الشمع.

رغم ألمي لاحظت أنني تعثرت بسبب سجادة. أرفعها لأجد لوحًا خشبيًا تحتها، فأسحبه للأعلى وأرى كتابًا قديمًا لم يمنعني فضولي من تصفحه، ربما كنت فقط أريد شيًا ينسيني ألمي، لأتفاجئ أنها مذكرات أواب، تلتقي عيني بتاريخ أعرفه جيدًا، إنه يوم موت والديّ..

-"أقسم أنني لم أكن في وعيي.. أقسم أني لم أقصد هذا.. أقسم أنني اصطدمت بالزوجين بالخطأ.. لقد كان خطأ، أقسم بذلك أقسم.."

-"لقد حكم القانون بالإعفاء عني، رغم أني أردت العقوبة لكن عائلتي أجبرتني على الصمت بينما بقي الصراخ داخلي وكأنه صدىً لا يصمت، هذا هو العجز إذًا.."

-"شعوري بالذنب لا يمكن وصفه ولو جمعنا حروف لغات العالم.."

-"ربما أستطيع تكفيره، المسكين فداء، قلبي يجبرني على تذكره، سمعت أنه في الميتم، وبأن عائلةً قد تبنته سأدفع لهم لإعادته ولو وصل إلى التهديد فسأفعل.."

-"أنا آسف يا فداء، عليك الانتظار مدةً أطول حتى أشتري منزلنا الخاص ونصبح عائلة، أعدك.."

لم ألاحظ أن المذكرات قد سقطت من شدة ارتجافي، شعرت أن الأرض تسحبني للأسفل رغم جلوسي عليها. كجائعٍ سقطت قطعة خبزه في النار.

أجد نفسي على الأرض باكيًا وكل جزء من جسدي يصرخ لساعات.

أنه ليس كالبقية، لقد أحسن معاملتي وأكرمني إلا أنه يبقى قاتل والديّ، لولاه لكنت الآن مع أمي وهي تعانقني، وأبي يتمنى لي يومًا طيبًا، لكن هذا لن يحدث، فكرت بحماقتي عندما ظننت أنه مختلف، أنه سيكون أملي الحقيقي، إذا أردت العقوبة، فسأعطيك إياها.

أقف خارج المنزل لأرى أواب قد وصل، أسرع ناحيتي مرتعبًا:

"فداء، هل أنت بخير؟".

قلت بهدوء وأنا مبقي نظري على المنزل بعد أن أشعلته بيدي:

"أعدني إلى الميتم".